

تناظر مفردات التراكيب في السياق القرآني

Symmetry in the Structure vocabulary of the in the Qur'anic Context

سنية هني*

تاريخ القبول: 2024/12/23

تاريخ استقبال المقال: 2024/12/07

تاريخ النشر: 2024/12/29

ملخص: يعدّ التناظر وسيلة لغوية في بيان انتظام بني السور والآيات في التركيب القرآني، هذه الأداة تهدف إلى الوقوف على أنواع المتناظرات وأصنافها، وترمي إلى استجلاء أساليب دوراتها في آيات القرآن وسوره. ومصطلح التناظر من إيجاد الباحث الأردني محمد عيد الرواجفة، حيث استعمله في أبحاثه، منها، «التناظر في القرآن الكريم: تأصيل وتطبيق»، وهو مصطلح مرادف لاصطلاح التناسب، الذي استعمله عدد من علماء العرب في دراستهم، منهم: برهان الدين في كتابه: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، وعلى بن أحمد المهامي في كتابه: «تبصرة الرحمن في تيسير المثان» والسيوطي في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن»، ومن المتأخرين فاضل صالح السامرائي في كتابه: «التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم»، وغيرهم كثر.

وهذه الظاهرة لا تقتصر على الآيات والسور وإنما تشمل نظم تراكيب لغته ومفرداتها وسياقاتها، سواء أكان ذلك النظم توافيقاً أم تقابلياً.

انتقت هذه الورقة من بين المجالات المتعددة للغة العربية مجال البنى الإفرادية في إطارها التركيبي وسياقها القرآني، لإمكان الوقوف من خلال نماذج من القرآن على تناقض المفردات المتناظرة في تراكيبها الواردة في السياق القرآني، لذا سعى البحث إلى تناولها بالتحليل التناظري قصد استجلاء هذه آلية.

كلمات مفتاحية: متناظرات، وسيلة، مفردة، تركيب نحوي، سياق.

Summary:

Proportionality serves as a linguistic tool for elucidating the structure of Quranic chapters and verses. This mechanism aims to explore various types of proportional relationships and their rhetorical roles within Quranic verses and chapters. The concept of proportionality was introduced by the Jordanian researcher Muhammad Eid Al-Rawajfah , who utilized it extensively in his studies of the Quranic text, such as "symétrie in the holy quran : origin and application " providing detailed applications of the concept. Among the Quranic scholars who used this term is Burhan al-Din in his book "Al-Burhan fi Ulum al-Quran", as well as Ali Ibn Ahmad al-Mahaimi in " Tabssirat Errahmane fi Tayssir elmannan ". Furthermore, Al-Suyuti elaborated on this concept in his book "Al-Itqan fi Ulum al-Quran", dedicating a section to "The Suitability of Verses." Among later scholars, Fadel Saleh Al-Samarrai addressed the subject in his book " Proportionality Between Quranic Chapters".

This phenomenon in the Quran does not only focus on the arrangement of chapters and verses but also extends to the structural composition of its language and vocabulary within their contexts, whether through complementary or contrasting arrangements.

The present paper explores the manifestations of proportionality in Arabic linguistic structures, particularly within the Quranic framework, by examining how the proportional relationships between its lexical elements align with or contradict one another in the Quranic context. The study seeks to analyze proportionality in Quranic structures through selected examples, employing this mechanism as an analytical tool.

Keywords: Proportionality, relationship, linguistic structure, context.

1. مقدمة :

تعدّ ظاهرة التناظر إحدى أهمّ وسائل تشكيل البنى النصيّة، تنتظم بواسطتها البنى الدلالية انطلاقاً من البنى الإفرادية المنتظمة في نسق تركيبي مراد وإطار سياقي مناسب. بزغت هذه الفكرة حين اتّجه الاهتمام إلى فهم القرآن الكريم، فكان لعلماء سابقين لغويين ومفسرين مقولات تنوّه بأهمية هذه الوسيلة التي هداهم إليها النظم القرآني،

وأوردوها تحت اصطلاح " التناسب "، تعبيرا عن مدى ترابط آي القرآن الكريم وسوره وموضوعاته، ترابطا تجلّى في حسن ترتيب معانيه، التي انتظمتها حسن الصياغة القرآنية، من ذلك قول فخر الدين الرازي: «أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيبات والروابط.»¹

ولأهمية الفكرة في البناء النصّي سعى كلّ من زاويته المعرفية استجلاءها، محاولا بيان فعاليتها في الترابط النصّي.

ولكون الفكرة تسري في مختلف المستويات اللغوية، ارتأيت بيان قيمتها التناظرية في مجال المفردات، من حيث إن المفردات تشكل أحد العناصر الأساس في بناء تراكيب النص، وتعدّ مادته المحورية في تشكيل تَعَالُقِ معانيها تناظريا، إمّا تناظر تضادّ وإمّا تناظر توافق. لذا كانت المساهمة موسومة «تناظر مفردات التراكيب في السياق القرآني».

وهدف البحث يرمي إلى استجلاء فكرة "التناظر" في أحد مستويات اللغة العربية، وهو مستوى المفردات، مقتصرين على نماذج من القرآن الكريم، وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، وهو ما سيتجلى من خلال معالجتها في المتن.

1. مفهومه.

1.1. لغة:

(التَّنَاطُرُ) مصدر مصاغ من الفعل (تَنَاطَرَ)، المأخوذ من مادة (ن.ظ.ر)، وأصل معناها يدور حول: تأمّل الشيء ومعابنته⁽²⁾، ومنه تفرّع معنى المثل والشبيه والمقابل، فعن (المثل) قيل: «والنظير: المثل، وقيل: المثل في كلّ شيء، وفلان نظيرك؛ أي مثلك»⁽¹⁾،

¹ . البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 36:1.

² . معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، 2:567، ع1.

وفي معنى (الشبيه) قيل: «والنظير كأمير: المثل والشبيه في كل شيء، يقال: فلان نظيرك؛ أي مثلك؛ لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء»⁽²⁾، ويقال: «والنظائر: جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال»⁽³⁾، ورد في هذه المقولات أن النظير هو الشبيه والمثل، غير أن أبا هلال العسكري فرق بينهما فذكر: «أن المثل ما تكافأ في الذات، والنظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله وهو متمكن منها»⁽⁴⁾، وبين ذلك بمثال، فقال: «كالنحوي نظير النحوي، وإن لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه، ولا يقال النحوي مثل النحوي؛ لأن التماثل يكون حقيقة في أحص الأوصاف هو الذات»⁽⁵⁾.

وفي معنى (المقابل) قيل: «تقول العرب: دور آل فلان تنظر إلى دور آل فلان؛ أي هي بإزائها ومقابلة لها»⁽⁵⁾، وجاء في متن اللغة بصيغة (فَاعَلَ) (نَاطَرَ) «ناظره: صار له نظيرا، ... وهذا الجيش يناظر ذاك؛ أي يقابله»⁽⁶⁾.

وفي صيغة (تَفَاعَلَ) (تَنَاطَرَ) جاءت بمعنى تَقَابَلَ، قيل: «وتناظرت الداران: تقابلتا»⁽⁴⁾، وجاءت بصيغة النفي في قول الزهري محمد بن شهاب: «لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)»⁽⁷⁾، وفسر أبو عبيد مقولة الزهري فقال: «أي لا تجعل شيئا نظيرا لهما ... أو معناه: لا تجعلهما مثلاً لشيء يعرض»⁽⁵⁾، وأطلقت عبارة النَظَائِرُ على ما تشابه من سور القرآن، فقالوا: «ونظائر القرآن: سور المفصل، سُميت

¹ . لسان العرب، مج:6، 4466:55.

² . تاج العروس، للزيدي، 249:14.

³ . لسان العرب، مج:6، 4467:55، 4468.

⁴ . الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، 155.

⁵ . لسان العرب، مج:6، 4465:55، 4466.

⁶ . متن اللغة، لأحمد رضا، 489:5.

⁷ . تاج العروس، للزيدي، 252:14.

بذلك لاشتباه بعضها بعضاً في الطول»⁽¹⁾، وفي السياق نفسه قال ابن مسعود: «لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقوم بها: عشرين سورة من المفصل؛ يعني سور المفصل، سميت **نظائر** لاشتباه بعضها ببعض في الطول»⁽²⁾.
يتّضح مما سبق أن **التناظر** يدور ويتمحور حول التشابه والتقابل والتماثل.

وعبارة **النظائر** استعملها علماء العربية في تأليفهم، ومنهم **السيوطي**، حيث عنون النوع التاسع والثلاثين من أنواع كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بـ «معرفة الوجوه والنظائر» ويبيّن مقصده من ذلك، فقال: «فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظ الأمة، ... والنظائر: كالألفاظ المتواطئة».⁽³⁾

ومن المعنى اللغوي صيغ المعنى الاصطلاحي.

2.1. اصطلاحاً:

عرّفه **الرواجفة وسليمان الدقور**، بقولهما: «منهجية قرآنية تؤكّد بناء سور القرآن الكريم وآياته على نظام واضح، محدّد، منضبط، منتظم، تتوافق فيه السور القرآنية لتكون كلّ سورة مناظرة لسورة أخرى، وتتوافق فيه الآيات في السورة الواحدة؛ لتكون كلّ آية مناظرة لآية أخرى»⁽⁴⁾.

يستخلص من التعريف أن التناظر في القرآن صنفان: أحدهما بين السور، والآخر بين الآيات. والملاحظ على التعريف أنه لم يضمّ أنواع التناظر، من حيث إن المتناظرين من الصنفين أهما متناظران تناظر تشابه أو تماثل أم تناظر تقابل؛ أي تضاد، أم تناظر توافق؟

¹. م.ن، 14:256، 255.

². لسان العرب، مج: 6، 55:4467.

³. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، 1:185.

⁴. التناظر في القرآن الكريم، تأصيل وتطبيق، لسليمان الدقور وأمين عيد الرواجفة، العدد: 96، 22، 23.

2. أصناف التناظر.

تنوزع أصنافه على ثلاثة أقسام:

1.2. التناظر بين سور القرآن الكريم، ويتفرع إلى فرعين: تناظر بين بداية سورة وبين خاتمة سورة أخرى، كالتناظر بين سورة المجادلة والبقرة¹، فسورة المجادلة تبدأ بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾²، بدأت السورة بسماع الله المُجَادِلَةَ والتَّحَاوُرَ الحاصل بين الشاكية ورسول الله ﷺ، واختتمت سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُوْا عَنَّا وَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾³، اختتمت السورة بنفي الله تكليف الإنسان فوق طاقته، مقرون بدعاء الإنسان ربه بجوامع الخيرات، وفي ذلك محاوره غير مباشرة بين العبد وربّه، وللرواجفة تعليل تناظري مختلف، حيث ذكر أن آخر سورة البقرة متناظر مع أول سورة المجادلة، فختام البقرة (دعاء جامع) وفي بداية المجادلة (استجابة للمجادلة بعد سماع شكواها)⁴.

وتناظر بين بداية سورتين، كالتناظر بين سورة الكهف والمدثر⁵ فسورة الكهف تبدأ بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ إلى

¹. ينظر: التناظر في القرآن الكريم، تأصيل وتصنيف، للدكتور/ الرواجفة وسليمان قدور، العدد: 96، 34.

². المجادلة: 01.

³. البقرة: 286.

⁴. ينظر: المرجع نفسه. 36.

⁵. ينظر: م، 37.

قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (26)، فمحور موضوع هذه الآيات يدور حول واجب الإنذار وما يقابله من بشرى للسالكين منهج الإيمان. وسورة المدثر تبدأ بقوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾¹، جاء فيها نداء الله رسوله بتكليفه بواجب الإنذار. والملاحظ على بداية السورتين أنه في سورة الكهف كان الإنذار متمحورا حول وسيلة الإنذار، وفي سورة المدثر تمحور حول المكلف بالإنذار، وفي ذلك تناظر تكاملي.

2.2. التناظر بين آيات السورة الواحدة، ويتفرع إلى فرعين: أحدهما: تناظر بين بداية آية وبين خاتمة آية أخرى، كالموجود في سورة الإخلاص، ويتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾ وقوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾، والآخر: تناظر بين بداية آيتين للسورة نفسها، ويتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2)﴾. ففي الآيتين الأولى والرابعة تحقق التناظر بأسلوب الإثبات؛ أي إثبات التوحيد لله، والنفي؛ أي نفي من يكافئه ويمثله في الألوهية، وفي ذلك تخلص الألوهية لله وحده، وفي الآيتين الأولى والثانية تحقق التناظر بأسلوب الإثبات؛ أي إثبات التوحيد وإثبات أنه هو وحده المقصود بالحوائج.

3.2. التناظر بين موضوعات السورة الواحدة ومقاطعها، ويتفرع إلى فرعين: أحدهما: تناظر بين بداية موضوع وبين خاتمة موضوع آخر، كالموجود في سورة يوسف، ويتمثل في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ (3)﴾، مفاد الآية يدور حول من صدر منه القصص القرآني وهو الله - سبحانه وتعالى - الذي أوحى إلى عبده القرآن الكريم، هذا المفاد يتناظر مع موضوع خاتمة السورة نفسها، ويتمثل في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾، يدور مفاد الآية حول تصديق القصص القرآني في وقائعها، التي فيها عبرة لأولي

¹ المدثر: 01، 02.

النهى، وفي ذلك تناظر تقابلي بين مُسَرِّدِ وقائع القصص - سبحانه وتعالى - وبين ما يترتب على هذا السرد القصصي من أخذ العبر. والآخر: تناظر بين بداية موضوعين، كالموجود في سورة الشرح.¹ ويتمثل الموضوع الأول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)﴾، تدور هذه الآيات الكريمة حول فضل الله على رسوله، من شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، أما الموضوع الآخر فيتمثل في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)﴾، وتدور مفادات هذه الآيات الكريمة حول ما ينبغي فعله من الصدق في رغبة التوجه إلى الله على وجه الدوام، بعده مقابلا لأفضال الله عليه ﷺ. فأيات الموضوع الأول تتناظر مع آيات الموضوع الثاني تناظر تقابلي، من حيث كون أفضال الله على رسوله ﷺ يقابلها السعي من رسوله ﷺ إلى الامتثال لأوامره - سبحانه وتعالى - وذلك بتنفيذ ما يطلب منه.

3. أقوال العلماء في التناسب (التناظر):

أشاد علماء عدّة بقيمة فكرة التناسب (التناظر)، التي هداهم إليها نظم آيات وسور القرآن الكريم حين انكباهم على تفحص مفرداته وتراكيبه بقصد فهم معانيه، ومنهم:

1.3. **فخر الدين الرازي**، حيث قال: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.»⁽¹⁾، وقال في موضع آخر، حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ﴾²: «أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم

¹. ينظر: م.ن، 49-53.

². البقرة: 285.

آياته، ... إلّا أنّي رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متبهيّن لهذه الأسرار. وليس الأمر في هذا الباب إلّا كما قيل:

والتَّحْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ *** فَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلتَّحْمِ فِي الصَّغَرِ.¹

2.3. أبو بكر بن العربي، حيث قال: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى لا تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منظمة المباني، علم عظيم.»²

3.3. بدر الدين الزركشي، حيث قال: «وهو في المناسبة، وقد قلّ الاعتناء المفسرين بهذا النوع لدقّته»³

4.3. عزّ الدين بن عبد السلام، حيث قال: «المناسبة علم حسن.»⁴

5.3. الزركشي قال: «ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أوّل كلّ شيء عن كونه تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم»⁵

6.3. العلامة محمد علي المهامي قال: «فكلّ كلمة سلطان دارها وكلّ آية برهان جارها»⁶

هذه الأقوال إنّما أورتها لبيان مدى فعالية هذه الفكرة واتّقادها في أذهان ذوي الفكر الثاقب، الذي يغوص في محيطات معاني النظم القرآني فيستخرج درره الثمينة المتمثلة في المعاني المرداة من نظم مفرداته، وترتيب آياته وترباطها، وتسلسل سوره وتناضدها.

¹ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، 09:1.

² . البرهان في علوم القرآن، 36:1.

³ . يقصد به: المناسبة بين الآيات، ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، 06:1.

⁴ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، 07:1.

⁵ . م، ن، 08، 07:1.

⁶ . تبصير الرحمن وتيسير المثان، للعلامة علي بن أحمد بن إبراهيم المهامي، 03:1.

وبالمثال يتّضح المقال، سنورد نماذج من القرآن لبيان فكرة تناظر مفردات التركيب.

4. تناظر مفردات التراكيب في السياق القرآني.

النموذج الأول: تناظر تقابل. ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً ... كَلِمَةً خَبِيثَةً﴾¹
 قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ أَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ أُجْتِثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26)﴾¹

وردت هذه الآيات بعد آيات صورت أحوال فريقين أحدهما شفيّ جاحد لنعم الله - سبحانه وتعالى - والآخر سعيد مؤمن بما أنزل الله على رسوله، فبعد تصوير أحوالهما أورد الله - عزّ وجلّ - مثلاً رسّخ به تلك الصورة بغرض تبين مقام كلّ من الكافر والمؤمن، فاستهله بمزمة الاستفهام (أ) لما فيها من قوة الاستحواذ على جذب الانتباه، المستوحى من خصائصها الصوتية، فهي مجهورة/شديدة، تشدّ بصيرة القارئ إلى عظم ما يليها، ممّا يجعل آثارها بادية عليه، ومما زاد في أهمية مضمون المثل اقتراحها بأداة نفي (لم)، التي أكسبت الأسلوب الاستفهامي مفاد شحذ النفس إلى الإصغاء لما يبين عما هو غائب عن العيان، وهو أحوال المؤمن والكافر، في شيء مجسد للعيان والمتمثل في الشجرتين: الطيبة والخبيثة. ثم دخول هذه الأداة النافية على الفعل في صيغة زمنية دالة على الحال أو الاستقبال (تَر)، وهذا الفعل بمادته يتميز بمعنى البصيرة المترتبة على الإبصار، والمراد من هذه الجملة المنفية في سياق الاستفهام هو الأمر بالنظر، إذ أمر الله رسوله ﷺ بالنظر إلى متضمنات المثل المساق في الآيات الكريمة.

¹. إبراهيم: 24، 25، 26.

احتوت الآيات جملة من التراكيب ذات مفردات متناظرة، نوردها موزعة تناظريا في شكل جدول.

كلمة طيبة	كلمة خبيثة
كالشجرة الطيبة	كالشجرة الخبيثة
أصلها ثابت	اجتثت من فوق الأرض + ما لها من قرار
وفرعها في السماء	(ليس لها فرع)
تؤتي أكلها كل حين	(ليس لها أكل)

فالكلمة الطيبة وما يمكن أن يتصور من أنواع طيبتها من خلال تشبيهها بالشجرة الطيبة تناظر الكلمة الخبيثة وما يتصور من مآلها حين تشبيهها بالشجرة الخبيثة. ولكل مواصفاتها التي تناظر مواصفات الأخرى، فمواصفات الشجرة الطيبة تتمثل في:

- كونها طيبة.
- وأنها ذات أصل ثابت.
- وفرعها في السماء.
- وتؤتي أكلها كل حين.

أما مواصفات الشجرة الخبيثة فتتمثل في:

- كونها خبيثة.
- وأنها اجتثت من فوق الأرض
- وأنها ليس لها قرار.

1.3. تناظر مفردتي: الطيبة والخبث.

فالطيبة للشجرة تشمل: طيبتها من حيث المنظر والصورة والشكل فهي تسر الناظرين، ومن حيث الرائحة فهي منعشة لأسارير النفس، ومن حيث الثمر فهي مستطابة

اللذة، ومن حيث المنفعة فهي ذات نفع عظيم، فاشتمالها لهذه الطيبات يجعلها جامعة لكافة سمات الطيبة ومتكاملة المنافع¹.

والخُبث للشجرة يشمل: خبثها من حيث منظرها وصورتها، ومن حيث رائحتها، وطعمها، ومضارها²، فهي كما ذكر الرازي «الشجرة الجامعة لكل هذه الصفات وإن لم تكن موجودة إلا أنها لما كانت معلومة الصفة كان التشبيه بها نافعا في المطلوب»³.

2.3. تناظر مفردتي: (ثبات الأصل) و(الاجتثاث) من فوق الأرض.

فالثبات للأصل يدلّ على رسوخ جذور الشجرة وعمقها الضارب في الأرض، فهي ذات قرار مكين، وفي مأمن من الزوال.

والاجتثاث، يعبر عن اقتلاعها كلية، لأنّ «حقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها»⁽²⁹⁾، وهذا يشير إلى عدم ثبات أصلها، الذي يتأكد بقوله تعالى: ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾، ويزيد تأكيد ذلك نفى استقرارها بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، إذ حصل النفي بأداة (ما) معضودة بحرف (من)؛ لبيان زوالها النهائي.

3.3. تناظر مفردتي: (فرع) الشجرة الطيبة و[انعدامها] في الشجرة الخبيثة.

فالتفرّع للشجرة الطيبة يشير إلى قوّة هذه الشجرة في تفرّيع أغصانها المتصاعدة نحو الأعلى المعبر عنه بـ(في السماء)، وهذا لا يتأتى إلا لشجرة ذات الأصل الضاربة جذوره الراسخة في أعماق الأرض.

و انعدام فرع الشجرة الخبيثة يشير إلى عدم ثبات أصلها، الذي يمكنها من قوّة تفرّيع أغصانها، وانعدام الأصل يترتب عليه انعدام الفرع.

¹. ينظر: التفسير الكبير، لمحمد فخر الدين الرازي، 119:19.

². ينظر: م.ن، 123:19.

³. التفسير الكبير، لمحمد فخر الدين الرازي، 123:19.

4.3. تناظر مفردتي: (إيتاء) الشجرة الطيبة لثمرها و[انعدامه] في الشجرة الخبيثة.

فإيتاء الثمر يشير إلى أنها شجرة منتجة، وإمدادها بالثمار مستمر، هذه الاستمرارية أملتأها تنمة عبارة الآية ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، فهي دائمة الإثمار. و[انعدام] الثمر يشير إلى أنها شجرة لا أمل في إنتاجيتها؛ لافتقارها للأصل الذي تستمد من خلاله عناصر الإثمار.

من خلال هذا التبيين التناظري للمفردات في تراكيبها من خلال المثل القرآني ينجلي المراد المطلوب من هذه المتناظرات، فضرب مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة في سياقها التشبيهي كان بقصد إبراز ما يتحلّى به كلّ من المؤمن والكافر.

فالمؤمن منطلق في تصرفاته من توحيد الله، إذ فسّرت الكلمة الطيبة بـ(لا إله إلا الله)¹، وبـ(الإسلام)²، والتوحيد يستوجب الطاعة الله - عزّ وجلّ - والاستغراق في حبه، وبالتالي فإن معرفة الله - سبحانه وتعالى - تجعل الإنسان المؤمن كالغيث أينما حلّ نفع، فهو بفضل الكلمة الطيبة بهذا المعنى يصير مكتسبا لجميع مواصفات الشجرة الطيبة، التي لا ينقطع نفعها، فقلوه وعمله يتسم بالطيبة بمواصفاتها الجامعة، وأن هذه الطيبة المتولدة عن معرفة الله - سبحانه وتعالى - ثابتة ثبات المعرفة الإلهية ومستمرة العطاء في نفس المؤمن استمرارها (أي معرفة الله)، كما أن هذه المعرفة جذورها ضاربة في نفس المؤمن وفروعها متصلة بالمدد الإلهي. وما دامت كذلك فهي تمدّ المؤمن بثمار طيبة متمثلة في نظره الذي يلتقط العبر، وسماعه الذي يستمع للقول الحسن، ونطقه الذي لا يلفظ إلا بالصدق والصواب.³

والكافر منطلق في تصرفاته من جحوده لوحداية الله التي فطر عليها، وكونه كذلك فإن تصرفاته وإن زُيّنت له فهي خبيثة محتوية على جميع المضار، وذلك لأن الشرك

¹ م.ن، 122:19.

² تبصرة الرحمن وتيسير المآل، علي بن أحمد المهايمي، 390:1.

³ م.ن، 121:19.

بالله يحبط الأعمال، لذا شبّهت الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة المجتّنة من أصولها فلا جذور لها ولا قرار.

النموذج الثاني: تناظر بداية المثل مع محتّمه. ﴿مثلا رجلين﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كُفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)﴾¹

جاءت هذه الآيات بعد تصوير مآل الكفار أصحاب النار، ومآل المؤمنين أصحاب الجنة، فأراد الله - سبحانه وتعالى - تقريب حال هذين الصنفين من خلال المثل بحال رجلين ومآلهما، أحدهما غنيّ كافر والآخر فقير مسلم.

¹. الكهف: من الآية 32 إلى الآية 42.

وجاءت مفردات المثل وتراكيبه في بيان حال الرجلين في شكل تناظري، ينتظمه أسلوب الحوار، الذي زاد من بيان مراد الله من المثل، فمفردات تراكيب المقاطع المتعلقة بالغني الكافر تناظر تناظرا تقابليا مفردات تراكيب المقاطع المتعلقة بالفقير المسلم.

أُسْتَهْلَ المثل بصيغة الأمر - (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) - من مادة (ضرب)، التي تدلّ في سياق الآية على معنى (أذْكَرُ) و(مَثَلٌ بِهِ)¹، وإنّما استعملت الصياغة القرآنية (اضرب) دون غيرها من المفردات المشاركة لها في الدلالة لما يترتّب على معنى الضرب من ترك آثار وعلامات للشيء المضروب به، وصورته في سياق المثل طبع أحوال الغني الكافر والفقير المسلم ومآل كليهما في ذهن وفكر المخاطبين، وبالتالي يتبيّن أن موازين الغنى والفقر قائمة على الإيمان والكفر، والتسليم لله - عزّ وجلّ - والجدود للفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلا غنا باق مع الكفر، ولا فقر دائم مع الإيمان.

والمَثَلُ المضروب يتمثل في (رجلين)، أحدهما غنيّ متفاخر بأمواله وأنصاره من وأولاد وحشم² والآخر فقير، وتجلت أحداث مَثَلِ الصنفين في شكل تناظري، فجاءت مفردات وتراكيب المعبرة عن الصنفين متقابلة، تتّضح المتناظرات من خلال الجدول التالي:-

الغني الكافر(المحاور(1))	الفقير المؤمن(المحاور (2))
1. جنتان من أعناب، محفوفتان بنخل، بينهما زرعاً.	7. أصبحت <u>خاوية</u> على عروشها.
2. كلتا الجنتين آتت <u>أكلها</u> .	6. يرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح <u>صعيداً زلقاً</u> .
3. <u>فجر</u> خلاهما <u>نُحُرا</u>	5. يصبح ماؤها <u>غُورا</u> .

¹ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1: 532، ع².

² ينظر: تفسير الكشاف، للزخشري، دار المصنف، القاهرة - مصر، د.ت، 3: 206.

4. كان له ثمر	4. أُحيط بثمره.
5. أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا.	3. إن ترن أنا أقلّ منك مالا وولدا.
6. دخل جنّته وهو ظالم لنفسه، قال ما أظنّ أن تبدي هذه أبدا وما أظنّ الساعة قائمة.	2. لولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوّة إلا بالله.
7. لئن رددت إلى ربّي لأجدنّ خيرا منها منقلبا.	1. أكفرت بالذي خلقك من تراب ثمّ من نطفة ثمّ سواك رجلا، لكنّا هو الله ربّي ولا أشرك بربي أحدا.

اتّضح من الجدول أن مفردات تراكيب الصنفين متناظرتان تناظر تقابلي، جاء من خلال المحاوراة أنّ مفردات حال الغنيّ الكافر معبّرة عن افتخاره بالمال والولد (النفر): أكثر، أعزّ، نفي الإبادة، نفي قيام الساعة، شرّكه بالله في قوله (لئن رددت إلى ربي)، وجاءت مفردات حال الفقير المؤمن معبّرة عن افتقاره إلى الله وأن الغني والفقير بيد الله: أقلّ مالا، أقلّ ولدا، ما شاء الله، لا قوّة إلا بالله، هو الله ربي، لا أشرك بربي، عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك.

وبالنسبة إلى جنّيّ الغنيّ الكافر ومآلهما فكانت مفردات حال عمارها وهلاكها متناظرة تناظر تقابلي، ففي حال عطائها: جنتان (من أعناب، محفوفتان بنخل، بينهما زرعاً)، دوام أكلهما، يجري بينها نهراً، ذو ثمر. وفي حال هلاكها: خاوية، صعيدا، مأوها غورا، أُحيط بثمره.

4. خاتمة:

اتّضح من خلال معالجة الموضوع أن تناظر مفردات التراكيب في السياق القرآني ظاهرة لا تقتصر على تناظر السور والآيات وموضوعاتها، وإنّما هي سارية في كافة

مستويات البناء النصي للقرآن الكريم، وأن معجم مفردات الحالات المتناظرة كان الوسيلة المبينة عن مراد الله في ترسيخ قيمة التوحيد وتثبيت القيم العقادية.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم، برواية حفص.

1. الإتيقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة بيروت - لبنان، د.ت.

2. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط.1، 1378هـ - 1957م.

3. تاج العروس، للزبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1984م..

4. تبصير الرحمن وتيسير المثان، للعلامة علي بن أحمد بن إبراهيم المهايمي، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط.2،

1403هـ - 1973م.

5. التفسير الكبير، لمحمد فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط.1، 1401هـ - 1981م.

6. تفسير الكشاف، للزمخشري، دار المصنف، القاهرة - مصر، د.ت.

7. سليمان الدقور وأمين عيد الرواحفة، التناظر في القرآن الكريم، تأصيل وتطبيق، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: 96،

ربيع/ 19440هـ - 2019م.

8. الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر، د.ت.

9. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان، 1968م.

10. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - مصر، د.ت.

11. متن اللغة، لأحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1958م.

12. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط.1، 1420هـ - 1999م.

13. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار المعارف، مصر، ط.2، 1392هـ - 1972م.